

## اغتيال المبحوح ينطوي على مخاطر ويهدد بتفجير الموقف

يتعين وضع اغتيال المسؤول في الجناح العسكري لحركة «حماس» محمود المبحوح في سياق تصاعد الحرب الامنية بين الأجهزة الاسرائيلية وأجهزة الدول والفصائل المعادية لها مع كل ما تنطوي عليه هذه الحرب من مخاطر لتفجير الوضع على نطاق واسع.

## فلسطين: انعدام التقدم الدبلوماسي وتصاعد الحرب الامنية

حزب الله يصر على ان رده على الاغتيال ذلك لم يحصل بعد. فبعد الحرب بين اسرائيل وحزب الله تبين ان العمل العسكري المباشر والمفتوح لم يعد متاحاً في ظروف ما بعد وقف اطلاق النار حيث لاحظت اسرائيل ان الحزب الذي اعتبر نفسه منتصراً يبني آتته العسكرية بسرعة وكفاءة استعداداً للحرب المقبلة، التي يتوقع الجميع ان تكون اشد عنفاً وتدميراً من الحرب السابقة، وانه من الملح بالنسبة الى اسرائيل عدم السماح بتطوير البنية العسكرية والامنية للحزب على حدودها الشمالية، ما أطلق



محمود المبحوح

والاسرائيليين والتي يبدو انها اخذت في التصاعد خلفية الجمود السياسي والدبلوماسي الحالي. ففي الوقت الذي تغيب فيه أي آمال باحراز تقدم على صعيد

السلام وتسوية الصراع العربي - الاسرائيلي والفلسطيني - الاسرائيلي، وفيما تبدو المجابهة العسكرية مستبعدة لاسباب تتعلق بحاجة كل الأطراف التي انخرطت في مجابهات من الصنف هذا في الاعوام القليلة الماضية، الى اعادة رسم خططها وتقييم قدراتها واعادة بناء آلتها العسكرية وتكييفها مع الدروس المستخلصة من الجولات السابقة، يظهر البديل الاستخباري وسيلة معقولة للاستمرار في ارسال الرسائل وتلقيها الى الاطراف المعادية ومنها. وقد كانت

المحاولة الفاشلة لتفجير الموكب الاسرائيلي في الاردن رسالة شديدة الأهمية في هذا الخصوص حيث اظهرت ان اسرائيل ليست الطرف الوحيد الذي يعتقد بأنه يمتلك القدرة على الخوض في عالم الاستخبارات والامن وان جهات أخرى لن تتردد في اللجوء الى هذه الوسائل لتحقيق اهدافها وتصفية حساباتها مع اسرائيل. ومعلوم انه منذ نهاية الحرب الاسرائيلية على لبنان في العام ٢٠٠٦ انتقلت المواجهة الى الساحة الامنية وسجل اغتيال القائد العسكري لحزب الله عماد مغنية في دمشق في شباط (فبراير) ٢٠٠٨، نقلة نوعية في هذه الحرب، التي ما زال

**الاجهزة الاسرائيلية تعمل على الحيلولة دون بناء «حماس» قوة عسكرية**

الاجتيال ليس الأول الذي يستهدف قياديين فلسطينيين في الخارج بل يمكن الحديث عن تاريخ طويل من الاغتيالات التي تخصصت بها اجهزة الاستخبارات الاسرائيلية منذ الستينيات من القرن الماضي واستهدفت مئات المسؤولين السياسيين والعسكريين والعلماء العرب في عشرات من مدن العالم. لكن اغتيال المبحوح يشير الى نقلة نوعية في مطاردة اسرائيل للشطاء الفلسطينيين. فقد تم استهدافه على ما يبدو لعدد من الاسباب منها المتعلق بدوره في خطف وتصفية جنديين اسرائيليين في اثناء الانتفاضة الاولى عام ١٩٨٩، ثم بسبب توليه مسؤولية في عمليات تسليح الحركة الاسلامية في قطاع غزة. ويبدو من الوقائع المتوفرة ان الاستخبارات الاسرائيلية لم تتوقف عن مطاردته ورصده منذ اعوام. واذا كان من المبكر الآن الجزم ما اذا كان عدم تمكن مرافقيه من السفر معه بسبب عدم حصولهم على بطاقات مجرد صدفة صبت في مصلحة فريق الاغتيال ام انها جزء من العملية، فإنه من المؤكد ان الاسرائيليين استغلوا كل الثغرات التي وجدت في تنقلات المبحوح وحراسه للقضاء عليه، على غرار ما يجري في هذا النوع من العمليات التي تنفذها عادة فرق محترفة عالية التدريب.

### حرب امنية

وبغض النظر عن طبيعة «المهمة» التي قالت «حماس» ان المبحوح كان يقوم بها في دبي، سواء كانت تتعلق بشحنة اسلحة من ايران الى الحركة او غير ذلك، وبغض النظر ايضاً عن التفاصيل البوليسية التي رافقت مقتله، من نوع عدد الفريق الذي نفذ الاغتيال اهو مؤلف من رجلين او اربعة او عن الدولة التي حمل القتل جواز سفرها وهل كانت الجوازات أصلية ام مزورة، فإن الاغتيال الذي رحبت به وسائل الاعلام الاسرائيلية والأوساط السياسية في اسرائيل، يقع ضمن خانة الحرب الامنية بين الفلسطينيين



رئيس شرطة دبي يتحدث



اسماعيل هنية يزور عائلة المبحوح معزيا

العمليات العسكرية الواسعة النطاق، أهمها الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ الذي جرى بذريعة تعرض السفير الاسرائيلي في لندن الى محاولة اغتيال قام بها تنظيم «فتح - المجلس الثوري» في عملية يحيط بها حتى الآن الكثير من علامات الاستفهام حول الجهة التي دفعت اليها.

### اخفاق الدبلوماسية

ويصح الاعتقاد بأن الحرب الامنية الدائرة حالياً والتي يرجح العديد من المراقبين تصاعدها وتفاقمها في الاشهر القليلة المقبلة، تستند الى الاخفاق الكامل للجهود الدبلوماسية التي تبدو أقل جدية من أن تعالج المشكلات الكبيرة التي تعيق التوصل الى السلام في المنطقة. فما حمله المبعوث الاميركي الى الشرق الاوسط جورج ميتشيل على سبيل المثال يقل كثيراً عن الحد الأدنى المطلوب من قبل الفلسطينيين الذين يريدون وفقاً اسرائيلياً كاملاً للبناء في المستوطنات في الضفة الغربية. وعلان رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتانياهو ان الكتل الاستيطانية الكبرى ستظل ضمن السيادة الاسرائيلية الى الابد في الوقت الذي يرفض فيه مجرد البحث في مستقبل القدس المحتلة، عناصر تعطي الانطباع بأن المواقف بين الجانبين المعنيين في المفاوضات ما زالت شديدة التباعد وأن العودة التي تريدها الولايات المتحدة الى مائدة المفاوضات غير ممكنة، في ظل الظروف الراهنة لكل من نتانياهو ورئيس السلطة محمود عباس اللذين يعيان تماماً ان أي «تنازل» للجانب الآخر، ستكون له عواقب جسيمة على المستوى السياسي الداخلي لكل منهما.

والاقتراح الرامي الى توسيع السيطرة الفلسطينية في الضفة لتشمل نقل أجزاء من مناطق «ب» و«ج» من يد اسرائيل الى يد السلطة الفلسطينية كإشارة على نية نتانياهو مساعدة السلطة ورئيسها، لا يبدو كافياً بحال من الاحوال لاقتناع الفلسطينيين أن الجانب الاسرائيلي جاد هذه المرة في التقدم على طريق السلام وأنه سيلتزم بما سبق وتعهده به في خريطة طريق العام ٢٠٠٢ بالتوقف عن بناء المستوطنات.

لذلك، يكون البديل المتاح الوحيد هو السعي الى تسجيل نقاط في مرمى الطرف الآخر من خلال الحرب الامنية والاغتيالات والتفجيرات التي يبدو انها ستتصاعد قريباً ■

مشعل يتحدث في لقاء تعزية بالمبحوح



## الانقسام الفلسطيني يؤدي دوراً مهماً في صعوبة بروز اي حل سياسي

والحكومة الاسرائيلية التي تمسك بها أكثر الاحزاب تطرفاً في تاريخ الدولة العبرية، ما يجعل من المستبعد التوصل الى اي برنامج وطني فلسطيني يمكن ان يشكل القاعدة السياسية التي يجري التفاوض مع الاسرائيليين على اساسها. ويضاف الى ذلك أن صفقة تبادل الاسرى بين حماس واسرائيل تبدو مستبعدة التحقق في المستقبل القريب بعدما وصلت الى الطريق المسدود بسبب رفض اسرائيل الافراج عن عدد من الاسرى الفلسطينيين الذين تقول ان «أيديهم ملوثة بالدماء».

ومفهوم ان الاعتماد على التعامل الامني بين اطراف الصراع يؤدي مباشرة الى تصعيد التوتر حيث يجهد كل من الفرقاء المعنيين بالبحث عن الاساليب الكتيبة بالحاق أكبر الخسائر والاضرار بالفريق المقابل. واذا صح ما قيل عن توجه «حماس» لتنفيذ عمليات انتقامية ضد المسؤولين والدبلوماسيين الاسرائيليين في الخارج رداً على اغتيال المبحوح، فإن في ذلك ما يفتح الباب واسعاً امام تصعيد خطير في الحرب الامنية قد تقود مباشرة الى مجابهة عسكرية. وتقيد الخبرة ان العمليات التي نفذت في الخارج في اطار الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي ادت الى العديد من

حملة واسعة من الرصد الامني والاستخباري لكل كوادر وقيادات الحزب، وصلت الى ذروتها مع اغتيال مغنية. وسجل عدد من الحوادث في جنوب لبنان وفي ضاحية بيروت الجنوبية أقل أهمية لكنها تندرج في اطار الحرب الامنية التي تتصاعد حدتها وشراستها.

### قوة عسكرية

وثمة جوانب شبه كثيرة بين الحال المذكورة وما يجري بين «حماس» واسرائيل منذ نهاية الحرب الاسرائيلية على غزة في كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٩، حيث تعمل الاجهزة الاسرائيلية على الحيلولة دون بناء «حماس» قوة عسكرية

يعتد بها في القطاع نظراً الى ما يشكله ذلك من خطر قد يكون أكبر من ذلك الذي تمثله صواريخ حزب الله بسبب القرب النسبي للقطاع من المناطق السكنية والصناعية الأكثر اكتظاظاً وأهمية في اسرائيل. وبالتالي فإن طول مدى الصواريخ التي يملكها حزب الله لا يعود كبير الأهمية بالنسبة الى وجود مصدر لتهديد المدن الاسرائيلية الواقعة قرب غزة، والتي يمكن ان تطاولها صواريخ حماس الاقصر مدى. صحيح ان حرب العام الماضي اظهرت قلة كفاءة مقاتلي حماس وعدم تمكنهم من تحقيق اصابات تذكر في صفوف القوات الاسرائيلية وسقوط أكثرية الصواريخ التي اطلقوها في مناطق خالية من

الاهداف المدنية او العسكرية في الداخل الاسرائيلي الا ان كل ذلك يمكن ان يعني بالنسبة الى الخبراء العسكريين والامينين الاسرائيليين ان حماس والجهات التي تؤازرها ستعمل على تصحيح أوجه الخلل والضعف هذه عبر برامج لاعادة بناء الترسانة العسكرية وتأهيل المقاتلين والكوادر على المستويات كافة وسد الثغرات الامنية التي اتاحت للاسرائيليين تحقيق اصابات دقيقة في صفوف المستوى القيادي لحماس من جهة، ومنعت الجسم العسكري لحماس من استخدام اقصى طاقاته استخداماً مؤثراً وفعالاً في المعركة، من جهة ثانية.

### الانقسام الفلسطيني

يدخل هنا العنصر الامني كأداة لتشكيل الصورة العسكرية عند الطرف المقابل الذي يتعذر خوض مجابهة مفتوحة معه لاسباب عدة منها ان اسرائيل، على سبيل المثال لا تمتلك ادنى تصور عن الكيفية التي ستدير فيها قطاع غزة في حال اجتاحتها عسكرياً. فأخر ما تريده اسرائيل الان تحمل مسؤولية مليون ونصف مليون فلسطيني يعانون من كل انواع الصعوبات التي يمكن تصورها في العالم. كما ان ليس لدى الحركة الاسلامية تصور للخروج من الوضع السياسي المقفل الحالي، سواء ذلك المتعلق بافتقارها الى الحل السياسي أو قدرتها على حسم الصراع عسكرياً ضد اسرائيل. والانقسام الفلسطيني يؤدي دوراً مهماً في صعوبة بروز اي حل سياسي بين الفلسطينيين أنفسهم وهؤلاء